كان وقبائلها «29»

محمد القعود
Kood500@hotmail.com

كان الوهم
يبتسم كي يبدو إنساناً عظيماً
والوطن يبكي بغزارة
كي يبدو على قيد الحياة..

كان الوهم
يَتزيّن بالأمجاد الورقية
ويرفع أنخابه عالياً
ويهرق جرار خموره الحلال
على الطرقات المؤيدة لأعمدة دخانه،
وفوق رؤوس أوثانه،
ويرقص مبتهجاً
بأول قطفة من بستان ربيع أعنابه،
ويوزع على المشردين
أقساطاً من النشوة العابرة
وكؤوساً طافحة بالفراغ المؤجل
وبهتافات منقوعة بطلاء الأزقة الخلفية..

كان الوهم
يبتسم مثل «جنتلمان»
ويطلب من «دافنشي» رسمه
بتقنية غامضة،
وبوضعية مثل «الجوكندا»
كي يسوّق نفسه
في انتخابات الشظايا القادمة..

كان النخّاس
يستعيد ماضيه الاستعماري
ويخفي غبار اللعنات
من وجهه المكدود
ومن تاريخه المبطوح على بطنه..

كان النخّاس
يعرض على الجوعى بضائعه،
ويبيع عبيد الأيديولوجيا بأسعارٍ بخسة
ويعرض غلمان الأحزاب للمزاد العلني
ويدعو الفرنجة للفرجة
على أجساد جواريه العارية..

كان النخّاس
يعمل في جميع المهن الواطئة
ويصرّح لقنوات العهر العربية
بمدى تعبه في الأعمال الإضافية
وفي البحث عن حميرٍ قوية
تقوم بمهام ليلية
في غرف نوم أمراء الحرية..

كان الضوء
ينأى بنفسه عن الصراع
مع عَبَدَة الظلام،
ويؤجل ثأره من أذناب الغسق
حتى يرى فجره.

كان الضوء
يتجنب خوض الحوارات العقيمة،
ويشيد بدور الشموع
في التصدي لكثافة ظلام الخونة
ويشد آزر بريق عابر
بموعد رحب للتعارف،
ويلوّح بإعجاب لوميض مبهر،
يتقدم باتساع نحو الجهات الأربع،
ويمر من جوار تجمّع السفسطائيين
وجموعه المكفهرة، دون أن يمنحهم نظرة..

كان الضوء
يتعوّذ من شر الظلام ومكائده
ومن شر العيون المطفأة
ومن شر دواب الرؤوس الظلامية،
ويرفض أن يتوقف أمام حواجز الكآبة
أو يرد على أسئلة الأفكار المعتمة
أو يعود من حيث أتى..

كان الضوء
يعلن حضوره بقوة النور،
ويناى أن يدلي برأيه
في الحوارات الرخوة
بين عميان البصيرة
وبين إمّعات المسيرة،
بين المفردات الكسيحة
وبين المعاني الهزيلة.

كان الضوء
يعرف إلى أين مساره،
ويدرك أنه دوماً على حق
وأن أصابعه في نهاية المطاف
سترفع شارة انتصاره..

كان الابتذال
يطالب «اليونسكو» بالمحافظة على إنجازاته،
وبإدراجها ضمن التراث العالمي
وبتخصيص يوم عالمي
للاحتفال به، وبأحفاده..

كان الابتذال
يبشّر جميع الموبقات
بميلاد عصر يحترم حقوق الأقلّيات
وبدعم دولي لجميع الساقطين
في حصة الأخلاق العامة
والتربية الوطنية
وجميع الساقطين
من قيد الانتماء،
والهاربين من الطابور الصباحي
في حضرة الوطن..

كان الهشيم
يؤوّل خطى أولاده
ويطرف لعرّافة الشارع
كلما أخبرته بجنوح الرياح إلى السلم
وتوبتها من مطاردة خفاياه..

كان الهشيم
يسف طموحاته في وجه الصمت
ويزعق بغطرسة مزركشة
متحدياً جميع الأنظمة
أن تجادله، أو تنازله، أو تواجهه
أمام جمهور الفضائيات
أو أن تسابقه
في مضمار الأقدام السريعة،

أو تشد معه حبل الواقع..

كان الشهيد
ينتظر تفسيراً لمعنى شهادته،
وينتظر تليفوناً ساخناً
يخبره بمنحه حقيبة وزارية
في الحكومة الجديدة..

كان الشهيد
يبعث بقبلاته إلى متراسه الوطني،
وإلى ابنه الرضيع
ويوصيه بأداء الصلوات الخمس
ونافلة من أجل الوطن..

كان الشهيد
ينتظر تليفوناً،
ليرد عليه مبتسماً :
دمي منحني أشرف المناصب
وجعلني من المكرّمين..

كان اليأس
يطالب بلجنة تحقيق دولية
في اغتيال أحلامه القديمة
ومعرفة مَنْ هو المخطط الداهية
لقلع أنيابه وتبديد ألوانه الباهتة
وَمَنْ جعله يحبو على أربع
ويعترف للأمل بهزيمته الكبرى..

كان الممنوع
يروي سيرته على «الأصمعي»
ويشذّب شواردها مع «الثعالبي»
ويستعين بالجاحظ لرفدها بخفايا الحيوان،
ويستشير سيبويه في ممنوعاتها المصروفة
ويطعّمها بطرف من جعبة الأصفهاني
ويجوّلها على أبواب «الفيروزبادي»
ويطلب من نقّاد الغفلة وما بعد الحداثة
التنظير الثوري لأبعادها الفكرية
وحفّها بمدارس النقد
وتحويلها إلى مسلسل تراجيدي
يروي نضالاته منذ عقود طويلة..

كان الشاعر
يقضم تفّاحة الأنوثة
وينهل من ينابيع القصيدة
ويمد نفوذه إلى الأدغال المحجوبة،
ويشعل صهيله في ليل الأشواق
ويمطر حباً وحناناً وجنوناً
فوق أوراق الورد الناعمة..

■ مقاطع من نصٍ/ شجنٍ طويل

إصدارات ثقافية

'برلمان نجيب محفوظ'

■ القاهرة - يعد كتاب «نجيب محفوظ الإنسان» للروائي سعيد سالم، هو العدد التاسع من سلسلة «نجيب محفوظ» التي تصدرها الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة.

وقد كتب سعيد سالم هذا الكتاب من واقع معايشته للأستاذ لسنوات عديدة، سواء من خلال ندوة سان ستيفانو السكندرية الشهيرة التي كانت تستمر طوال صيف كل عام، أو من خلال اللقاءات الثنائية بينهما، أو من خلال الخطابات المتبادلة معه بشأن موضوعات متعددة.

والكتاب الصادر حديثا يتعرض لكل ما يتعلق بالجانب الإنسانى من شخصية نجيب محفوظ استنادا الى الاحتكاك المباشر والموثق، وأحيانا الى بعض المواد المنشورة لأصدقاء الأستاذ عبر سنوات مختلفة.

ويشتمل الكتاب على أبواب مختلفة توضح معالم شخصية الاستاذ بكل ما يشكلها من حب للناس والكون والخالق والانسانية.

وقد اعتبر الكاتب ندوة سان استفانو بمثابة برلمان ديوقراطي أطلق عليه «برلمان نجيب محفوظ»، من حيث أنه جو مثالي لممارسة حرية الفكر والكلمة في جو من الحب والتسامح واحترام الرأى الآخر.

ويعرض الكتاب تحت عنوان «فيض من الذكريات»، مواقف كثيرة تبين الجانب الفكه في شخصية الأستاذ راويا العديد من قفشاته المرحة وتعليقاته الساخرة في مجالات السياسة والأدب والحياة الاجتماعية بوجه عام، وكذلك في المواقف الحرجة التي كثيرا ما تعرض لها الأستاذ في تلك الندوات، والتي كان يسمح فيها بالحضور لكل من شاء حتى لو لم يكن يعرفه.

ويضم الكتاب أبوابا أخرى عن حصوله على نوبل وعن موقفه من التطبيع وعن علاقته بربه وعن محاولة اغتياله، وكذلك عن أحداث اللقاء الأول بين الكاتب والأستاذ.

تاريخ الجامعة المصرية

■ أصدر مركز توثيق التراث الحضارى والطبيعى التابع لمكتبة الإسكندرية بالتعاون مع دار الكتب المصرية كتاب بعنوان «الجامعة الأهلية.. صفحات من ذاكرة الصحافة»، يتناول مرحلة تأسيس الجامعة المصرية كجامعة أهلية فى الفترة من «١٩٠٨ إلى ١٩٢٥».

قال د.فتحى صالح مدير مركز توثيق التراث الحضارى والطبيعى، إن الكتاب يأتى ثمرة تعاون فى توثيق مقتنيات دار الكتب من خلال عدد من المشروعات التى تدعمها كل من وزارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات ووزارة الثقافة، والتى من بينها مشروع توثيق التراث الصحفى.

أضاف د.فتحى صالح، أن فصول الكتاب تتضمن مقدمة تاريخية تستعرض المجهودات التى بذلت من أجل تأسيس مشروع الجامعة، يليها عدد من الوثائق الخاصة بمراحل تأسيسها المختلفة والتى وردت فى الصحف والمجلات المعاصرة لتلك الفترة التاريخية.

قالت د.مها منصور مدير مشروع توثيق التراث الصحفى بالمركز بأن الكتاب يتضمن أيضا عدد من الوثائق الهامة والنادرة والتى تم جمعها من الصحف المصرية الصادرة فى هذه الفترة التاريخية مثل نص الدعوة العامة لمشروع الجامعة المصرية - لائحة الإجراءات الداخلية - أسماء المكتتبين فى مشروع الجامعة - بيان تأسيس الجامعة فضلا عن نص خطب افتتاح الجامعة، مشيرة إلى أن الكتاب ينفرد بنشر تقارير مجلس إدارة الجامعة الأهلية السنوية فى الفترة من (١٩٠٨ - ١٩١٥).

وتضم تفاصيل ميزانية الجامعة الأهلية، ونظام الدراسة بها، وأعداد وجنسيات الطلبة، وقسم الطالبات الذى تم افتتاحه بالجامعة، كما تلقى الضوء على الأساتذة الذين قاموا بالتدريس بالجامعة الأهلية وجنسياتهم والمواد التى درسوها، هذا فضلاً عن البعثات المختلفة التى أرسلتها الجامعة لأوروبا، وغير ذلك من التفاصيل القيمة عن تلك المرحلة المهمة من تاريخ الجامعة المصرية.

«نجيب محفوظ وسردياته العجائبية»

■ صدر عن المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة، ضمن الاحتفاء بمئوية الأديب العالمي نجيب محفوظ، دراسة بعنوان «نجيب محفوظ وسردياته العجائبية» للدكتور خالد محمد عبد الغنى، ويضم الكتاب أربعة فصول، يدور الأول منها حول آخر ما كتب نجيب محفوظ وهو «أحلام فترة النقاهة»، ويتناول في الفصل الثاني شخصية نجيب محفوظ وعاشور الناجي في «الحرافيش» باعتباره إسقاطا للذات والمصير، ومن ثم السيرة الذاتية في المستقبل.

والفصل الثالث، يتناول الباحث محاولة الإبحار في عقل نجيب محفوظ أثناء عملية إبداعه لرواية «اللص والكلاب»، ليوضح أن «محفوظ» أراد ابتكار «أوديب» على النمط المصري، وقد تجلى ذلك في شخصية سعيد مهران بطل رواية اللص والكلاب مستفيداً من التراث الأسطوري الذي اعتمد عليه نجيب محفوظ في رواياته الرمزية والتاريخية، بالإضافة لأسطورة الملك أوديب لـ«سوفوكليس» وفيه دلالة المسدس.

والفصل الرابع، يقدم الكاتب محاولة لفهم البناء النفسي لدى البغايا كما ظهر لدى نفيسة بطلة رواية بداية ونهاية وفيه بيان كيف سبق نجيب محفوظ كل البحوث النفسية والتحليلية التي درست هذه الظاهرة وهذا أحد جوانب عبقريته وحدسه ورؤيته للغد.

عمان - قدم الناقد العراقي د. عبد الله إبراهيم ثلاثة كتب جديدة متخصصة في الدراسات السردية، لتكون بمجملها تتويجا لمسيرته النقدية التي عرفت على نطاق واسع بصدور «موسوعة السرد العربي».

أول هذه الكتب التي اصدرها عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت هو «السرد النسوي: الثقافة الأبويّة، والهُويّة الأنثويّة، والجسد»، وثانيها «السرد، والاعتراف، والهوية»، اما اخرها «التخيّل التاريخي: السرد، والإمبراطوريّة، والتجربة الاستعماريّة».

عالج العراقي د. د. عبدالله إبراهيم في كتابه الاول ظاهرة السرد النسوي في الأدب العربي الحديث، حيث انبثقت هوية «السرد النسوي»، كما انتهى إلى ذلك من حضور أحد المكوّنات الثلاثة الآتية أو اندماجها معًا فيه، وهي: نقد الثقافة الأبويّة الذكوريّة، واقتراح رؤية أنثويّة للعالم، ثمّ الاحتفاء بالجسد الأنثويّ، فتشابكت تلك المكوّنات من أجل بلورة مفهوم «السرد النسوي».

وفرّق المؤلف بوضوح بين كتابة النساء، والكتابة النسويّة، فالأولى تتمّ بمنأى عن فرضيّة الرؤية الأنثويّة للعالم وللذات إلا بما يتسرّب منها دون قصد،أمّا الثانية فتتقصّد التعبير عن حال المرأة استنادًا إلى تلك الرؤية في معاينتها للذات وللعالم، ثمّ نقد الثقافة الأبويّة السائدة، وأكد على أن «السرد النسوي» يندرج في سياق نصوص المتعة، تلك النصوص التي تزعزع معتقدات المتلقّي، وربما تخرّبها، فتخلّف لديه إحساسا بأنه يقرأ نصوصا لا تنسجم وما عهده من تخيّلات موروثة عن العالم الذي يعيش فيه، فهي تضمر نقدا له، وتبرّما به، وبكلّ ذلك تستبدل رغبة في حريات فرديّة مغايرة للحريات الجماعية المبهمة التي تواطأ عليها الآخرون.

اما الثاني «السرد، والاعتراف، والهوية» فيثير موضوعا إشكاليا حول سرديات الاعتراف، وموقع الأقليات في السرد العربي الحديث، وفي هذا الكتاب أكد الناقد العراقي على أن أدب الاعتراف يقترن بالهُويّة، فلا يمكن انتزاع الكاتب من الحاضنة الاجتماعيّة والثقافيّة التي يشتبك بها؛ ذلك أنّ أدبه يقوم بمهمّة تمثيلها، وبيان موقعه فيها، فلا يطرح موضوع الهُويّة في السرد، والاعتراف بها، إلا على خلفيّة مركّبة من الأسئلة الشخصيّة والجماعيّة، وتبادل المواقع فيما بينهما؛ فالكاتب منبثق من سياق ثقافيّ، وتجد كافّة الإشكاليّات المثارة في مجتمعه درجة من الحضور في مدوّنته السرديّة.

لكنّ أدب الاعتراف محطّ شبهة وموضوع ارتياب؛ لأنّ الجمهور لم يتمرّس في قبول الحقائق، فيرى في جرأة الكاتب على كشف المستور سلوكًا غير مقبول، وإفراطًا في فضح المجهول، فالاعتراف محاط بكثير من ضروب الحذر في مجتمعات تقليديّة تتخيّل أنّها بلا أخطاء، وتتحاشى ذكر عيوبها، وتتوهّم أنّها تطهّرت من الآثام التي واظبت على اقترافها مجتمعات أخرى،فتدفع المخاوف كثيرًا من الكتّاب إلى اختلاق تواريخ استرضائيّة لمجتمعاتهم، وابتكار صور نقيّة لذواتهم، متجنّبين كشف المناطق السرّيّة في تجاربهم، وإظهار المسكوت عليه في مجتمعاتهم، فصمتوا عمّا ينبغي عليهم قوله أو زيّفوا فيه، وربّما أنكروا وقوعه، يريدونبذلك الحفاظ على الصور الشفّافة لهم ولمجتمعاتهم.

ورای المؤلف في كتابه الأخير»التخيّل التاريخي: السرد، والإمبراطوريّة، والتجربة الاستعماريّة» أن الوقت قد حان لكي يحلّ مصطلح «التخيّل التاريخيّ» محلّ مصطلح «الرواية التاريخيّة»، وبان هذا الإحلال سوف يدفع بالكتابة السرديّة التاريخيّة إلى تخطّي مشكلة الأنواع الأدبيّة، وحدودها، ووظائفها، ثمّ إنّه يفكّك ثنائيّة الرواية والتاريخ، ويردم الهوّة فيما بينهما، ويعيد دمجهما في هُويّة سرديّة جديدة.

وإلى كلّ ذلك فسوف يكبح البحث المفرط في مقدار خضوع التخيّلات السرديّة للمرجعيّات التاريخيّة، فينفتح على كتابة سردية لا تحمل وقائع التاريخ، ولا تعرّفها، إنّما تبحث في طيّاتها عن العبر المتناظرة بين الماضي والحاضر، وعن التماثلات الرّمزيّة فما بينها، فضلاً عن استيحاء التأمّلات والمصائر والتوتّرات والانهيارات القيميّة والتطلّعات الكبرى، فتجعل منها أطرًا ناظمة لأحداثها ودلالاتها، فكل تلك المسارات الكبرى التي يقترحها «التخيّل التاريخيّ» سوف تنقل الكتابة السرديّة من موقع جرى تقييد حدوده النوعيّة إلى تخوم رحبة للكتابة السردية المفتوحة على الماضي والحاضر.